

زهير عسيران يتذكر المؤامرات والانقلابات في دنيا العرب . الطريق إلى مهنة المتاعب والمغامرات الخطرة 1

زهير عسيران

نشر في الحياة يوم 18 - 11 - 1998

{ هذا الكتاب ليس مذكرات انه ذكريات ...

ذكريات ومواقف في مسيرة نضال عشتها وشاركت فيها.

تبدأ في ثلاثينات هذا القرن المشرف على نهايته، وهي حقبة زمنية حافلة بأحداث واجهها جيل متوثب بمواقف قد لا يهتم لـ
عاصرها أو شارك فيها بشكل أو بآخر، ولكل رأيه وحكمه، لكنها أحداث ومواقف صادقة لا يشوبها ادعاء أو غرور، والواـ
ولعل أهم ما قصدت اليه من نشر هذه الذكريات والمواقف أن تكون أمام الأجيال الصاعدة في هذا الوقت بالذات الذي يـ
وأيضا للوقوف بوجه كل من يشكك في بنية استقلالنا الوطني ويسعى الى زعزعته... ولئن تكن الوحدة الوطنية وراء استـ
ان تمدنا بالقدرة على المحافظة على الاستقلال لنبني معا لبناننا الحديث على مشارف الالفية الثالثة.

ولدت في صيدا عام 1914، والدي الحاج أحمد عسيران تاجر "مال قبان" متوسط الحال، والدتي من بيروت من آل العجمي.

بدأت دراستي الأولية في مدرسة "الشمعون" التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في صيدا، القريبة من بيتنا، بعدها اـ
باكراً مصحوباً، بزوادة الغداء البسيطة. عند انتسابي الى هذه المدرسة استرعى انتباهي ذهاب ابن جيراننا الى بيروت في بدايـ
بيروت سوى زيارات قليلة وسريعة وأنا صغير السن برفقة والدي أو والدتي ليوم أو يومين وأكون تحت رقابة عائلية مشددة.

استفسرت عن السبب الذي من أجله ينعم جارنا بالذهاب الى بيروت، فتبين لي ان ذلك يعود الى انتسابه الى احدى المدارس في ا

نلت الشهادة من مدرسة المقاصد وكنت سألتحق بمعهد الفرير في صيدا. في هذه الأثناء وصل من بيروت وفد من أساتذة مدر
الدخول اليها، وكانت المفوضية العليا الفرنسية تشجع العلوم المهنية وترسل بعثات من الأساتذة الى المحافظات لاجراء الامتح
حضروا الى صيدا المؤرخ والشاعر أديب فرحات وهو من الجنوب وصديق والدي فنصحه بأن يتقدم أحد أولاده لدخول هذا الم
والتقنية". وصادف ان كنت الى جانب والدي فسألني إذا كنت على استعداد لدخول مدرسة الصنائع فأجبت فوراً بالقبول ط
الجيران. وتقدمت الى الامتحان ونجحت وكان لي من العمر أربعة عشر عاماً.

وعند حلول موعد الدراسة اصطحبني والدي الى بيروت ودخلت المعهد المذكور في القسم الداخلي وانتقيت فرع الحياكة
الميكانيك وتفرعاته المختلفة، وقضيت ثلاث سنوات تخرجت بعدها حاملاً شهاداتها. الى تعلم الحياكة والقيام بالتدريب على آلا
مواد تدرس قبل الظهر هي اللغتان الفرنسية والعربية والفيزياء والرياضيات.

الحرية التي ابتغيتها بانتقالي من صيدا الى بيروت لم ينلني منها سوى بضع ساعات من أيام الآحاد كنت أمضيها في مشاهدة ف
سيراً على القدمين أو في متابعة مباريات في كرة القدم التي كنت أعشقها.

سنة تخرجي في مدرسة الصنائع توفي والدي، وكانت حسرة في قلبي أنه لم يحتفل بنجاحي ولم يشاهد تصفيق الحضور لي
وتخرجت بشهادة في الحياكة. حضرت حفلة التخرج مدام دي مارتيل قرينة المفوض السامي الكونت دي مارتيل وتبرعت للفائز
مالية بلغت الواحدة منها خمسمئة ليرة لبنانية أي ما يعادل مئة ليرة ذهبية في ذلك الوقت، وكانت احدى هذه الجوائز من
خصصت ادارة المدرسة جوائز رمزية للناجحين في كل مادة على حدة، فنجحت أنا في أربع مواد هي: العربية، الفرنسية، الفيز
يومئذ صبحي حيدر الى جانب قرينة المفوض السامي، وكان حيدر يشرف في الوقت نفسه على المدرسة، ولما سمع اسمي
أحرزتها ـ وفي كل مرة يذكر اسمي أو اسم أي ناجح يعلو التصفيق من الحاضرين ـ استوقفني وسألني: "عمو انت ابن مين؟
فقال: "بورك بك، عسيران وحيدر فرعان من شجرة واحدة، نحن اقرباء". عدت الى البيت بجوائزي وليراتي ووضعتها أما
قلق، ففرحت كثيراً وزادت فرحتها بما قاله لي صبحي بك حيدر. فسألتها: "ماما، لو لم أنجح وأحرز الجوائز هل كان يعجب
أقرباء من عائلة واحدة؟" فأجابت ضاحكة: "لست أدري... لكن أنت يا ابني منذ صغرك غير شكل... فالحمد لله...".

الطعام المغشوش

وأذكر فيما أذكر عن اقامتي في مدرسة الصنائع اننا كنا نتناول طعاماً جيداً، انما ذات يوم شعرنا ان الطعام قد ساء فاضربنا عن
الأمر وصلح الحال... وبالتحقيق تبين أن متعهد تقديم الطعام هو وراء الغش ويقدم للطلاب من طعام المساجين بطرقه الخاصة و
وحدث بعد تخرجي ان الطعام عاد سيئاً كما أخبرني بعض رفاقي الطلاب فقلت لهم: "الحل هو في الإضراب". وعمدت مع بعض
وأعلن الاضراب. واستدعي رجال التحري الى المدرسة وفتح تحقيق أظهر انني وراء طبع المناشير، فاعتقلت أربعاً وعشرين

على حق وان الطعام مغشوش، فاعتقل المتعهد، وطاب الطعام وفرح الرفاق...

بعد وفاة والدي انتقلت بنا والدتي من صيدا الى بيروت وكانت تنتمي الى احدى أسرها القديمة، وكان هذا الانتقال الى بيروت بدا
في بيروت انفتحت أبواب الحياة الواسعة أمامي، ففيها عشت حياتي الشبابية ثم المهنية وحققت ما حلمت به كطفل في صيدا. لك
صيدا لم تخرج مني. فمن جوّها ومن مدارسها ومعلميها ومن شارعها الوطني، انغرست في نفسي الروح النضالية غير المساو
أعرف مكاناً في لبنان يمكن أن يزاحم صيدا فيه. وقد اشتعل قلبي فيها بحب فلسطين والنضال من أجلها، وأنا أشاهد احراق الس
بالخضار أثناء الاضراب العام فيها، وكان يقوم بها شباب صيدا الميامين وعلى رأسهم المناضل معروف سعد، وكذلك أساتذتي
لطفي ومصطفى الشريف وشريف البزري، ثم مدير المقاصد الخيرية الاسلامية عبدالرحمن البزري، وأساتذتها مصطفى ومنيف
وغيرهم.

كانوا جميعاً يغرسون في نفوسنا مبادئ الوطنية الصافية ونبذ التعصب الطائفي وحب العلم، وكانت شهادة المقاصد التي تعادل
شهادة البكالوريا في كثير من النواحي، والفضل في ذلك لحسن أداء الأساتذة المسؤولين فيها.
والواقع ان مقاصد صيدا كانت لابناء المدينة وجبل عامل من جميع الطوائف. وكان تمويلها من الأهالي وطاقمها التعليمي يختار
المدينة. وكانت رئاسة الجمعية أكبر في منزلتها المعنوية والاجتماعية من أي منصب حكومي، وما زلت أذكر دعوة أهالي صيدا
المنفى، فقد أقيمت له أقواس النصر في كل مكان وارتفعت الهتافات مرحبة، الهتافات باللهجة الصيداوية وأتذكر منها: "ها
الوحدة الوطنية". مثل هذه الهتافات كانت تردد في كل مرة تقام فيها احتفالات أو تظاهرات وطنية.
وقد صادف وأنا تلميذ في المقاصد أن جاء المفوض السامي لحضور حفلة تخرج الناجحين في الشهادة، وكنت من بينهم، و
الحكومية مختلف الأساليب والضغوط لتنظيم استقبال شعبي للمفوض، ولكن النتيجة كانت سلبية واقتصر الاستقبال على تلامذة
البلدية.
بقي كل ذلك في صميم تكويني النفسي. في بيروت حاولت ان أجد عملاً في المهنة التي انتقيتها أي الحياكة، فلم أوفق لأن مع
أغلبها في دمشق، فسافرت اليها ووجدت عملاً في أحد المعامل وما زلت اذكر اسم صاحبه الحاج عبدالمجيد المجتهد. ولما كان ا
من شهرين عدت بعدها الى بيروت وكنا اخوتي الكبار انيس وحسن وحسين ويحيى وأنا بحاجة للعمل لنعيل اخوتي الصغار عزيز
وكانت الوالدة تبيع من آن الى آخر قسماً من "صيغتها" المحتفظة بها لسد حاجتنا جميعاً قدر الامكان. وقد استأجرت بيتاً في

الصلح، وهذه الجيرة ـ أي جيرة رياض الصلح ـ لعبت دوراً كبيراً في مستقبل حياتي.

خلال سنتين متتاليتين، بعد انتقالنا الى بيروت، التحقت بالمدرسة العاملية وتوليت تدريس القرآن الكريم. وكنت في مدرسة المقا
العشرون ليرة التي تقاضيتها مرتباً شهرياً من التدريس، اعتدت الاحتفاظ بخمس منها لنفقاتي الصغيرة واعطاء الخمس عش
التدريس لم يكن يأخذ كل وقتي مما جعلني التحق بنادي الشبيبة على ساحة البرج في بناية النجار التي كانت تضم كذلك مكاتب ج
النادي ويدير شؤونه السيدان جو سيلان وفوشيه، وهما مبشّران فرنسيان يعشقان الحرية وخدمة الانسان. وكان النادي ي
وانصافاً للحقيقة لا يسعني سوى الاعتراف بأن هذين المبشّرين لم يحاولا مرة التأثير علينا من حيث الايمان والعقيدة. اذ كا
المذاهب، وكذلك كان النادي يهتم بتنظيم المحاضرات والمواعظ الاجتماعية والانسانية. وانتسبت في هذا النادي الى الفرقة
ممتعة الى انحاء لبنان ونتسلق الجبال لنتعود تحمل مشاق الحياة ومساعدة الناس. وانتسابي الى هذا النادي الذي، كما قلت،
الفرنسية كان له تأثير على مستقبلي لأنني اعجبت بهذه الجريدة التي كانت في عهدة ميشال شيحا وشارل حلو وكانت تنبر
الفرنسيتين لتأييدهما الانتداب الفرنسي وكل ما يصدر عن المفوضية العليا. وكانت هذه الجريدة، أي "الوجور"، تدافع عن لبنار
فأحببت الصحافة من خلالها.

في تلك الأيام، أي في أواسط الثلاثينات، كثرت التظاهرات والاضرابات احتجاجاً على غلاء أسعار الماء والكهرباء وتعرفة ا
التظاهرات التي كان رجال الانتداب يقمعونها بعنف وبأعقاب البنادق، وكثيراً ما ناقشت المبشرين الفرنسيين المشرفين على ناد
أعمال تتنافى ومبادئ الحرية والديموقراطية، فكانا يصغيان الى ما أقوله بانتباه ويوافقان على استنكار أساليب القمع العنيفة و

جماعة الانتداب ليس وجه فرنسا الحقيقي، فوجه فرنسا العريق الأصيل وتقاليدها في الحرية والديموقراطية تختلف تماماً عما يه

بعد تركي التدريس في العاملية شاءت المصادفة ان أتعرف الى حسن اللاذقي الذي كان يملك امتيازاً لمجلة اسبوعية تدعى اصدارها سوية فلم أتردد لأن الانطباع الذي تركته في نفسي جيرة جريدة "لوجور" كان الحافز الأكبر لسرعة قبولي هذا العرض تعاونا على اصدار المجلة، وأذكر في هذه المناسبة أن أمر اصدار جريدة أو مجلة في تلك الفترة لم يكن يقتضي مالا وفيراً، متدنية الأجر، والأهم من الورق والعمال ان صاحب جريدة أو مجلة صغيرة غالباً ما كان هو محررها ومدير ادارتها وموزعها أ معدوم بمعناه التجاري المتعارف عليه اليوم على الأقل.

جعلنا "الكوكب" بادئ الأمر أدبية اجتماعية بعدما انضم إلينا أحمد زكي الافيوني وهو كاتب ومتمرس في الصحافة. وتقاسم الكتاب والأدباء. ثم حوّلنا بعض اهتمامنا الى الرياضة والكشفية. بعد انتسابي الى الكشاف المسلم الذي كان بقيادة محيي الدين ازدهاره ويتزعم الحركات الوطنية والتظاهرات ضد الانتداب الفرنسي، أصبحت "الكوكب" بالتالي لسان حال الكشافين وجميع ا بعد انفصال أحمد زكي الافيوني عن الجريدة، اشترينا حسن اللاذقي وأنا مطبعة صغيرة بالتقسيط، وأصبحنا نطبع الجريدة فيه لتساعدنا على دفع الأقساط. وكذلك كنا نطبع المناشير التي توزع على المواطنين لدفعهم الى مناوأة الانتداب. وكنا نطبعها سراً فاضطررنا الى رفضها خشية أن يفشي عامل المطبعة السر، وكان أجرها مغرياً. لحظة رفضنا هذا العرض قررت بيني وبين ن وهكذا كان. فصرت إذا ما عهدت إلينا جهة ما في طبع مناشير سرية أتولى هذا العمل بنفسي ليلاً بعد قفل باب المطبعة من الخار ومن مطبعتنا المتواضعة تلك خرجت مناشير كثيرة تحرّض الأهالي على شركة مياه بيروت وشركة الكهرباء وعلى كل ما للفر المجال ان اضراباً عاماً أعلن في سورية، ولما أراد رجال حزب الكتلة الوطنية تغذية الروح النضالية لدى الشعب السوري وحه طبع مناشير تدعو الى ذلك في دمشق فلجأوا الى لبنان، وكان رياض الصلح يعلم أنني أتولى أحياناً طبع مناشير سرية، فاستد طبعه وهكذا كان، وقد رفعت هذه المناشير، عندما وزعت في سورية، من روح المقاومة والصمود في وجه الفرنسيين.

وكما قلت ان جيرتنا لبيت رياض الصلح أفادتني كثيراً حيث كنت أشاهد التظاهرات تبدأ من بيته وتنتهي فيه - عندما كان يعتقله اعتقاله في راشيا ونفيه الى القامشلي، ثم الى غيرها، فكانت داره تكتظ برجالات البلاد، وعند عودته يستقبل بتظاهرات التأييد ال

عملنا السري في طباعة المناشير تابعناه حتى الاستقلال دون أن يعلم الفرنسيون بأمرنا أو تهتدي إلينا عيونهم. وقد توثقت
وسألني ان كنت أوافق على الذهاب سراً الى فلسطين حاملاً بيانه ضد مشروع الاستقلال الذي اذاعه الجنرال كاترو عام 1
المصرية بواسطة مراسلها هناك لأن الأوامر صدرت بمنع نشر البيان في لبنان، فوافقت في الحال بل شكرت رياض على
وتمنطقت بالأوراق وذهبت على بركات الله وتوفقت في مهمتي.

وفي أواخر عام 1943 قمت برحلة الى مصر برفقة نسيبي عادل عسيران، وكان وزيراً للتموين في حكومة الاستقلال وأول و
مع فرنسا ونيله استقلاله. فزرنا هناك جريدة "المصري" لصاحبها محمود أبو الفتح، وهي كانت تناصر لبنان لنيله استقلا
عرض علي أن أكون مراسل "المصري" في بيروت، فوافقت في الحال ثم أخذت "المصري" تنتدبني للقيام بتحقيقات واسعة ف
الأحداث فيها وكنت أقوم بهذه الأعمال الى جانب عملي في جريدة "الهدف". واستفدت كثيراً من امكانات جريدة "المصري" الت
تزوجت في حزيران عام 1946 من دعد راشد عسيران، واصطحبت عروسي الى حيث كان يذهب العرسان يرتشفون العسل في
في اليوم الثاني لقضائي شهر العسل موعد انعقاد مؤتمر بلودان للبحث في قضية فلسطين وحضره رؤساء الحكومات العربية
والهيئات الفلسطينية، بدعوة من جامعة الدول العربية. فوردتني برقية من "المصري" لموافاتها بأخبار المؤتمر، فلبيت ا
عروسي وحيدة في فندق العرائس، وكان الحاج حسين العويني يومذاك من بين نزلاء الفندق، فلم أسلم من تنكيته ولا من تحريض

* يصدر كتاب "زهير عسيران يتذكر المؤامرات والانقلابات في دنيا العرب"، عن دار النهار للنشر في بيروت الشهر المقبل.

زهير عسيران

لبناني ولد في صيدا عام 1914.

درس في كلية المقاصد الاسلامية في صيدا، وكلية الصنائع في بيروت.

اضطلع بدور بارز في العديد من الجمعيات الشبابية، فكان عضواً في نادي الشبيبة وقائداً في الكشاف المسلم وأميناً للسر في جم
عمل في الصحافة في الثلاثينات فكان أحد أصحاب مجلة "الكوكب" ثم انتسب الى "الحزب القومي العربي" السري عام 1938
عضو حزب "الميثاق الوطني اللبناني" عام 1938.

صاحب "الهدف" 1943 - 1968 ثم نقيباً للصحافة اللبنانية 1965 -1967 ومراسلاً خاصاً لجريدة "المصري" القاهرية، و
والعربية والدولية في تلك الفترة.

عضو في عصبة العمل القومي.

نشط في حزب النجادة في الفترة الأولى لتأسيسه وعين أميناً للخارجية فيه عام 1938.

عضو في مجلس أمناء مستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية عام 1944.

أمين سر "الهيئة الوطنية" برئاسة الدكتور محمد خالد التي شكلت لدعم استقلال لبنان، وعضو "المؤتمر الوطني" إبان معر
الذين شكلوا فريق عمل الزعيم الراحل رياض الصلح ورافقوه في مراحل نضاله المختلفة لبناء دولة الاستقلال.

مع نكبة العام 1948 اشترك في تأسيس "مكتب فلسطين الدائم" الذي أوكلت اليه مهمات مد المناضلين من أبناء فلسطين بالدع
عام 1944 كان من بين المجموعة الأولى التي أعلنت تأسيس "حزب النداء القومي".

أحد مؤسسي جمعية قدامى الكشاف المسلم.

عضو في مجلس ادارة "جوائز مصطفى وعلي أمين للصحافة" في مصر.

رئيس "مجلس أمناء شباب لبنان الواحد" الذي تأسس مع مطلع التسعينات، ليشكل واحة لقاء وحوار لشباب لبنان من كل التيار
عضو المنتدى القومي العربي.



التعليقات: 0

إضافة تعليق...

المكون الإضافي للتعليقات من فيسبوك

سعورس
متابعة الصفحة ٥٫٨ ألف متابعين

سعورس
about 2 years ago

تعادل منتخب الأخضر السعودي مع نظيره البنمي بنتيجة 1-1 خلال المو
الخميس، على ملعب آل نهيان في أبو ظبي العاصمة الإماراتية في ختام م
المرحلة الثالثة من الاستعدادات لكأس العالم 2022.
وتقدم منتخب بنما بهدف السبق عن طريق إسماعيل دياز "8"، ونجح الأ
تعديل النتيجة (...)

مواضيع ذات صلة

رحيل الصحافي والمناضل زهير عسيران

خليل رامز سركيس يسرد ذاكرة لبنان النهضة والحداثة

أمين معلوف: أشعر بأنني غريب في أي بلد أقمت والهوية مشكلتنا جميعاً ... السؤال الأصعب: لماذا عجز العرب عن استيعاب العصر؟

عن جهود «المقاصد» في صيدا: محمد راجي البساط وسفران نفيسان

عيون وآذان (بيروت حسناء الشرق)